Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير أننى لم أتوقع قربى واندماجى بتلك الدرجة التى جرت لى فى طليطلة، نزلتها سبع ليال، وفى الأخيرة خرجت من فندق الجريكو حيث يقيم بعض صحبى، قاصدا فندقى الواقع قرب بوابة الشمس العتيقة، عند بداية الطريق الصاعد إلى مسجد النور، الصغير، المضموم، الملموم، الشجى.

أيامٌ قصارٌ لكنها كثيفة. لم أكفّ عن الطواف بدروبها، بحواريها الطالعة، النازلة، المرصوفة بأحجار عتيقة، بيوتها متقاربة الواجهات، دمشقية المداخل والنوافذ، ثمة بريد سارى فى الفراغ لا يفضّه إلا من طاف وعرف ولو بعضا من كل، به إيماءات قاهرية، وتصريحات حلبية، وأنفاس مراكشية، وحنين تعزى أو قيروانى، لستُ غافلا عن هذا، عن العيون التى تطلعتْ، والأجسام التى تواجتْ، وشهقات المتعة التى ترددتْ، وأصوات الصغار التى أفلتت عبر الصمت المسدل، كذا الأيادى التى صافحت أو تماسكت، والثرى الذى طوى، هذا قصدى.

تتغير التضاريس، تقوم المدن، تندثر، لكن اليابسة باقية، أرضية المسرح، حتى يحين أوان التذرى فى الفضاء السحيق، هذا همّ قديم، أصيل عندى، فى تلك الليلة وما بين الفندقين أصغيتُ مطولا إلى ما خبا وابتعد، وتلفتُ بين ما كان وما يكون، حاولت اقتفاء المندثر. ولم أعْنَ كثيراً بتوقع الآتى، ذلك أن مراحلى انقضى معظمها، وما تبقى أقل - هذا مقطوع به - والخلاف حول المقادير لاغير. كافة ما تحقق